## خلقنا ا] للرحمة



## ◄قال تعالى:

(قُلُ ْ لَمِمَن ْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَر ْضِ قُلُ ْ لَيَلَّهِ كَتَبَ عَلَىَ نَف ْسَهِ ِ الرَِّح ْمَةَ لَيَج ْمَعَنَّكُمُ ْ إِلَى يَو ْمَ الْقَيِاَمَةِ لا رَي ْبَ فِيهِ الَّنَذِينَ خَسَر ُوا أَن ْفُسَهُم ْ فَهُم ْ لا يُؤْمِنُونَ) (الأنعام/ 12).

(قُلُ ْ لَمِ َن ْ مَا فِي السَّمَاوَ ات ِ وَ الأر ْضِ قُلُ ْ لَـِلَّهَ.ٍ).

العرب في جاهليتهم قبل الإسلام كانوا يعرفون ويقررون بأن □ الخالقية، وأن له ما في السماوات والأرض، ولكن لا يرتبون على هذه الحقيقة نتائجها المنطقية، بإفراد ا□ سبحانه بالحاكمية فيما خلق، وعدم التصرف إلا بإذنه وحده وشرعه، فكانوا لا يقرون له بالحاكمية فيما خلق، وأعطوا لخلقه هذا الحق في التعاكمية، وبهذا اعتبروا مشركين، وسميت حياتهم بالجاهلية، فكيف بمن يخرجون الحاكمية عن اختصاص ا□ الخالق فهو الكفر والظلم والفسق — كما قرر ا□ سبحانه في كتابه — وأيا ً كانت دعواهم في الإسلام، وأيا ً كانت لهم هذه الصفة التي تعطيها شهادة الميلاد.

(كَتَبَّ عَلَى نَفْسيه ِ الرِّحَمْةَ).

الكتابة هي الإثبات، والقضاء الحتم، والرحمة هي إفاضة النعمة على مستحقها وإيصال الشيء إلى سعادته التي تليق به، والرحمة هي من صفات ا□ تعالى الفعلية، لا الثبوتية ولا السلبية، فصح أن تنسب إلى كتابته تعالى، والمعنى أوجب على نفسه الرحمة تفضلاً منه ورحمة بلا منازع، لأنّه إن عفا فبفضله، وإن عاقب فبعدله، كتب على نفسه الرحمة بإرادته ومشيئته لا يوجبها عليه موجب، ولا يقتضيها مقتض إلا بإرادته المطلقة، وربوبيته الكريمة، وهي الرحمة قاعدة قضائه في خلقه ومعاملته لهم في الدنيا والآخرة.

فرحمة ا□ في عباده هي الأصل، حتى في ابتلائه ليكون أيهم أحسن عملاً، (ل ِي َه ْل ِك َ م َن ْ ه َل َك َ

ءَنْ بَيِيِّنَةٍ وَيَحَيْيَا مَنْ حَيِّ عَنْ بَيِيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعُ ءَلَيمٌ) (الأنفال/ 42)، وقد تكرر ورود كتب الرحمة في السورة ذاتها آية 54، (كَتَبَ رَبَّ كُمُمْ ءَلَى نَفْسِهِ الرِّحَمْةَ)، فالذي يسترعي هذا الانتباه بأن يجعل رحمته مكتوبة عليه، كتبها هو على نفسه، وجعلها منه عهدا ً لعباده بمحض إرادته، ومطلق مشيئته ليشملهم بفضله العميم، ورحمته الواسعة التي وسعت كلِّ شيء.

وتمثل هذه الحقيقة في اتصاف الألوهية بالرحمة وصدورها منها للعباد تصورا ً إسلاميا ً يشد الإنسان إلى ا□ الرحمن الرحيم العطوف الودود الرؤوف الكريم، ورحمة ا□ تفيض على عباده جميعا ً وتسعهم جميعا ً وبهم يقوم وجودهم وحياتهم.

## وتتجل ّی رحمة ا∐:

- 1- تتجلَّى في وجود البشر وخلقهم ونشأتهم من حيث لا يعلمون، وإعطائهم هذا الوجود الإنساني الكريم بكلِّ ما فيه من خصائص يفضل بها الإنسان على كثير من العالمين.
- 2- وتتجلَّى رحمة ا□ في تسخير ما قدر ا□ أن يسخره للإنسان من هذه السماوات والأرض، وهذا الرزق الواسع الشامل الذي ينعم الإنسان به في حياته.
- 3- وتتجلّى رحمة ا□ في تعليم الإنسان الاستعداد للمعرفة والعلم وتمكينه من التوفيق بين استعداداته وإيحاءات هذا الكون ومعطياته وهو الذي علّمه إياه، وهو من رزق ا□ الواسع الشامل.
- 4- وتتجلّى رحمة ا□ في رعايته لهذا الخلق بعد استخلافه في هذه الأرض، فإرسال الرسل وإنزال الكتب إليه بالهدى، ورحمة ا□ وحدها، هي التي تمهله، وحلم ا□ وحده هو الذي يسعه.
- 5- وتتجلى رحمة ا□ في تجاوز ا□ سبحانه عن سيئاته إذا عمل السوء بجهالة ثمّ تاب، وبكتابة الرحمة على نفسه ممثلة في المغفرة لمن أذنب ثمّ أناب.
- 6- وتتجلى رحمة ا□ عن مجازاة السيئة بمثلها وبمجازاته على الحسنة بعشر أمثالها، والمضاعفة بعد ذلك لمن يشاء، ومحو السيئة بالحسنة، وكله من فضل ا□، فلا يبلغ أحد الجنة بعمله إلا بفضل وأن يتغمده برحمته ويشمله بفضله.

ولنكتف بمتابعة فيما تتجلَّى فيه رحمة ا□ تعالى بهذا القدر، وإعلان القصور هو أجدر وأولى، وإلا فما نحن ببالغين من ذلك شيئا ً.

وعند مسلم: لما خلق ا□ الخلق، كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش: إنَّ رحمتي سبقت غضبي...

وعن أبي هريرة قال: قبل رسول ا□ (ص) الحسن بن علي ّ (ع) وعنده الأقرع بن حابس، فقال الأقرع: إن ّ لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا ً فنظر إليه رسول ا□ (ص) ثم ّ قال: "من لا يرحم لا يُرحم".

وروى أن رسول ا□ (ص) قال: "الراحمون يرحمهم ا□".

وروى عنه (ص): "ارحموا من في الأرض يرحمكم م َن في السماء".

وعنه (ص): أنَّه قال: "لا يرحم ا□ من لا يرحم الناس".

وعنه (ص): "لا تُنزع الرحمة إلا من شقي".

## مسائل وأجوبتها:

س1- الكثير من الناس يقولون: لماذا لم يخلق ا□ الناس أمة واحدة ليريحهم من الإختلاف وويلات الطائفية والمذهبية والعرقية؟

ج- قال تعالى: (و َم َا ك َان َ ر َب ّ كُ َ لَي هُ لَك َ الاْق ُر َى بِظ ُلاْمٍ و َأَ ه ْلا هُ َا مُص ْلَ ح ُون َ \* و َل َو ْ شَاء َ ر َب ّ كُ َ ل َجَعَل َ النّ َاسَ أَ مُس َةً و َاح ِد َةً و َلا ي َز َال ُونَ م ُخ ْت َل فَينَ \* إ ِلا م َن ْ ر َح ِم َ ر َب ّ كُ َ و َل َذَ ل ِكَ خ َلاَق َه ُم ْ و َت َم ّ َت ْ كَلْمِمة ُ ر َب ّ كُ َ لأَم ْلأَن ّ َ جَهَ نَا ّ َم َ م َنَ ال ْج ِنا ّ َة ِ و َ النّا الله ِ أَ ج ْم َع ِين َ ) (هود/ 119-117).

س2- لماذا خلق ا□ الناس؟ كثير من الناس يتساءل: لماذا خلقنا ا□؟

ج- الآية 12 من الأنعام: (كَتَبَ عَلَى نَفْسِه ِ الرِّ َحْمَة َ)، والآية 54 من الأنعام: (كَتَبَ رِ َبِّ كُكُم ْ عَلَى نَفْسِه ِ الرِّ حَمْهَ ءَ ) (الأنعام/ 54).

س3- لماذا لم يبسط ا□ الرزق لعباده؟

ج- قال تعالى: (وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لَعِيبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأرْضِ وَلَكَينْ يُنَزِّلُ ُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِيبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٍّ) (الشوري/ 27).

س4- لماذا بسط ا□ الرزق لبعض العباد وقدر - ضيق - على بعض العباد؟

ج- قال تعالى: (قُلُ إِنِّ َ رَبِيِّ يَبِيْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنَ ْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقَدْرِرُ لَهُ وَمَا أَنِيْفَقَيْتُمْ مِنْ شَيِّءٍ فَهُو َ يُخْلِفُهُ وَهُو َخَيِّرُ الرِّ َازِقِينَ) (سبأ/ 39).

وقوله تعالى: (أَهُمْ يَقْسُمُونَ رَحْمَةَ رَبِكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بِيَّنَهُمْ مُ مُونَ يَعْشِهِ مُ مُ عَيْنَا بِيَّنَهُمْ فَوْقَ بِعَضْ دَرَجَاتٍ مَعْيِشَتَهُمُ فَوْقَ بِعَضْ دَرَجَاتٍ مَعْيِشَتَهُمُ فَوْقَ بِعَضْ دَرَجَاتٍ لَيَحْمَعُونَ \* لَيَّتَ خَذَ بِعَمْهُمْ فَوْقَ بِيَّا سُخْرِيَّا وَرَحْمَةُ رِبِيِّكَ خَيْرُ مِمَّا يَجْمَعُونَ \* وَلَوْلا أَنْ يِكَوُّنَ النَّاسُ أُنُمَّةً وَاحِدَةً لَاجَعَلَاْنَا لَمِنَ ْ يَكُوْنَ النَّاسُ أُنُمَّتَةً وَاحِدَةً لَاجَعَلَاْنَا لَمِنَ ْ يَكُوْنُ بِالرِّوَحْمَنِ لَوَلا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُنُمَّتَةً وَاحِدَةً لاَجَعَلَاْنَا لَمِنَ ْ يَكُونَ \* وَلَـبِيُوتَهِمْ لَا مِنْ فَصَّتَةً وَمَعَارِجَ عَلَيَيْهِا يَظُهْرَوُنَ \* وَلَـبِيُوتَهِمُ أَبُونَ \* وَلَـبِيُهُونَ \* وَلَـبِيُوتَهُمَ اللّهُ وَالِنَّوْرُونَ \* وَلَـبُكُونَ لَا مَتَاعَ لُوا الزَحْرِقُ ( 55-32).

س5- لماذا سبحانه جعل الإنسان خليفته على الأرض ورفع بعضهم فوق بعض درجات؟

ج- شاء ا□ سبحانه أن يكون الإنسان خليفته على الأرض ليعمرها بالإيمان والطاعة والعبادة □ وإقامة العدل ونشر الفضيلة فيها فخلفه عليها ورفع بعضهم فوق بعض درجات ليستعين بعضهم ببعض، ولو كانوا كلهم درجة واحدة لما حصل التعاون بينهم ولوقفت عجلة الحياة والتقدم والتطور، فابتلاهم بما ابتلاهم من أموال وأولاد وجاه وعلم وسلطان، - اختبارا ً لهم - ليتسابقوا فيما بينهم على فعل الخيرات على ملعب هذه الكرة الأرضية ولتكون الحياة دار تنافس - تسابق - بين العباد على طاعة وفعل الخيرات، قال تعالى: (تَبَارَكَ السَّذِي بِيدَدِهِ الدُّمُلُكُ وهُو عَلَام كُلُ سَيْءٍ قَد ير ُ \* السَّذِي خَلَقَ الدُّع رَيزُ لا الله عَرينُ عَمَلًا وَهُو َ الدُّع رَيزُ الدُّع رَيزُ الدُّع رَيزُ الله عَرْبِينَ الله عَرْبِينَ الله عَرْبِينَ الله عَلَى الملك / 1-2).

وقال تعالى: (وَهُوَ السَّدَرِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الأرْضِ وَرَفَعَ بِعَضْكُمْ فَوَقَ بِعَصْ دَرَجَاتِ لِيبَبْلَوُكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحَيِمٌ) (الأنعام/ 165). ومن المقطوع به أنّ ا□ سبحانه لا يريد لعباده أن يتباغضوا ويتناحروا كيف وهو القائل: (وَلا تَـنَازَءُوا فَـتَفْشَـلُوا وَتَدُهْ مَ رَيحُكُمْ ) (الأنفال/ 46).

وا□ سبحانه لا يريد استعمال الجبر والإكراه في الدِّين (لا إِكَّرَاهَ فِي الدِّينِ) (البقرة/ 256)، الإكراه يتنافى مع منطق العقل، لأنِّ القوة لا تصنع الإيمان والاعتقاد، فإنَّ الإيمان الحقّ يصادق طريق الإقناع والأدلة والبراهين، ولقد عرض القرآن الكريم هذه الأدلة وحث على هذه الأساليب.

وا□ سبحانه لا يريد أن يخلق الإيمان في قلب الإنسان، فإنّه يخرج الإنسان عن إنسانيته ويجعل أفعاله تماما ً كالثمرة على الشجرة لا إرادة لها ولا كسب ولا تفكر ولا تدبر لخلق الكون وخالقه وما في هذا الكون، ولا استحقاق لمدح أو ذم، ولا لثواب أو عقاب على شيء.

وا□ سبحانه لم يشأ أن يكره الناس على الإيمان لأنّه لو يشاء لسلب عنهم صفة الإنسانية وكانوا أشبه بالحيوانات والحشرات لا يتحملون أي تبعية، ولا يحاسبون على شيء، ولكن شاء ا□ سبحانه أن يميز الإنسانية عن كلّ ِ مخلوق، ولذا أمده ا□ بالقدرة والإدراك والوجدان والهداية إلى النجدين، ثمّ ترك له حرية الاختيار، فجاءت أن يختلف الناس في عقائدهم وآرائهم.

وسيستمر هذا الاختلاف إلى الأبد، لأنّه نتيجة حتمية لجعل الإنسان مخيّراً غير مسيّر (إِلا مَن° رَحِمَ رَبُّكَ) (هود/ 119)، المراد بالمرحومين الذين يتوخون الحقيقة بإخلاص وتحرر، وإن تناحروا واختلفوا في الرأي ووجهة النظر، لأنّ اختلاف الرأي لا يفسد في الود قضية، لأنّ الحقّ َ سيبقى والباطل سيذهب.

المصدر: كتاب دروس من القرآن